
شذرات ثقافية
العدد 7
تراثنا العربى بين التهميش والتقديس
إشكالية الحوار
شهر رجب
وقفات وعبر من إسراء خير البشر
الرحمة فى الإسلام
أسئلة ما بعد الدكتور عمارة
حاجة الشباب إلى الأدب الإسلامى
النص الدينى وجدلية القراءات المعاصرة
تسوق الفيسبوكي ين الفكرك والناذرة الإسلامية



بدر بن سالم بن حمدان العبريّ

باحث وكاتب عماني

النّص الدّيني وجدليّة القراءات المعاصرة (الأحكام نموذجا)

لقد درج القدامى في الجملة في التّعامل مع نصوص الأحكام تعاملا علويّا لاهوتيّا، ومع هذا تعددت دائرة الإلزام من الوجوب والحرام حتى النّدبيّة والكراهة، ثمّ هل الأصل في الإلزام الوجوب أم النّدبيّة، فهل نحن بحاجة إلى قرينة لرفعه إلى الوجوب أو خفضه إلى درجات أقل، وهكذا فيما يتعلّق بآيات السّلب والحرمة.

وفي بدايات التّدوين نجد مالك بن أنس الأصبحي [ت 179هـ]، يقول: "لم يكن من فتيا النّاس أن يقال: هذا حلال وهذا حرام، ولكن يقول: أكره هذا، ولم أكن لأصنعه، والنّاس يكتفون بذلك" ، "كانوا لا يقولون حلال ولا حرام إلا لما في كتاب الله تعالى" .

ومع كون النّصوص الرّوائيّة الأصل فيها ظنيّة الثّبوت والدّلالة، والنّص القرآني الأصل فيه ظنيّة الدّلالة لا الثّبوت، ويعني هذا اتّساع دائرة الرّأي والاجتهاد، وضيق دائرة القطع أو ما تسمّى دائرة الدّين، إلا أنّه –كما يبدو – بعد شيوع أصول الشّافعي [ت 204هـ] حدث مع مرور الوقت جمود في الآلة ذاتها، ثمّ في مزاحمة النّص الظّنيّ ثبوتا للنّص القطعيّ ثبوتا؛ لتساوي دائرة الظّنيّة دلالة، وبالتّالي توسع دائرة النّسخ والتّخصيص والتّقييد وغيره للظّني ثبوتا، والتّراتبيّة أصبحت رقما في الجملة من حيث ذكر الأدلّة الإجماليّة لا واقعا من حيث الهيمنة والتّصديق.

فلمّا نأتي مثلا إلى قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة/ 180]، وإلى رواية: [لا وصيّة لوارث]، لا قيمة للتّراتبيّة هنا، حيث الهيمنة للرّقم الأقل [الرّواية] على الكتاب، فلا وصيّة لوالدين أو لقريب وارث، خاصّة وقد رفع العديد النّهي في الرّواية إلى دائرة الإلزام، وحاول بعض الجمع أنّ الوصيّة تصح إذا كان الوالدين غير مسلمين وكذا القريب الوارث مثلا، لكن الهيمنة أصبحت هنا للرّواية الظّنيّة.

ومن القراءة الأصوليّة إلى القراءة المقاصديّة والمصالحيّة، وتوسّع دائرة التّعليل، حيث لازم بعد النّص زمنا، وتوسع الظّرفيّة مكانا، وظهور نوازل جديدة، بعضها لها مثيل يقاس عليه لعلّة متعديّة من الأصل إلى الفرع، فاتسع دائرة القياس، وبعضها لها مثيل لعلّة قاصرة فتوسعت دائرة العلل من النّص إلى الاستقراء، وبعضها لا مثيل له فتوسع دائرة الاجتهاد بشكل أكبر، مع توسع دائرة الفقه ذاته، ليشمل مجالات متعددة.

وبعد أكثر من ألف سنة من عصر النّص، وتشكل المذاهب الفقهيّة التّسعة [الإباضيّة والزيديّة والحنفيّة والمالكيّة والشّافعيّة والحنابلة والجعفريّة والظّاهريّة والإسماعيليّة]؛ نجد إرثا كبيرا من الموروث الفقهي، لا يكاد تساويه أمّة من الأمم قديما وحديثا، إلا أنّه مع توسع الفقه قابله جمود في الآلة والنّقد والمراجعة، مع توّسع دائرة الإلزام الّذي قابله الأحاديّة في الرّأي خصوصا بعد الصّحوة الإسلاميّة وما تبعها من حراك سياسي [الإسلام السّياسي إن صح التّعبير].

أمّا بالشّكل العام داخل الخط الإسلامي سنجد مدرستين متناقضتين: مدرسة القرآنيين والّتي تضيّق من دائرة النّص الظّنيّ الثّبوت، وتوّسع من دائرة قطعيّ الثّبوت، وهي درجات ليس مجال ذكرها هنا، أهمها مدرسة التّصديق والهيمنة، ومدرسة العرض في الجملة، ومدرسة القرآن وكفى ونحوها.

يقابل هذه المدرسة السّلفيّة الّتي توسّع من دائرة النّص الظّنيّ الثّبوت، ولهذه أيضا اتّجاهات متدرجة، منها المتوسّعة في درجة الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم (القرون الخيريّة)، ومنها دون ذلك.

وهاتان المدرستان يماثلهما في التّكوين في النّص التّوراتي مبكرا، مدرسة القرائين المكتفين بالأسفار الخمسة، وهي مصدر الهيمنة والتّصديق، ومدرسة الفريسيين (السّلفيّة والتّقليديين اليهود).

بطبيعة الحال لا زالت المدارس الفقهيّة التقليديّة باقية، وفي داخلها تجاذبات تقليديّة سلفيّة، وقرآنيّة إصلاحيّة، إلا أنّ التّشكل العام حاليا ولو على المستوى الأكاديمي، أو المثقف الدّيني كما يسميه البعض، هو ليس الرّجوع فقط إلى الهيمنة والتّصديق القرآني، ولكن التّعامل مع النّص كنص من حيث القراءة والتّفكيك.

فالنّص ابتداء يدور بين التّاريخيّة والتّاريخانيّة، فالتّاريخيّة "مذهب يقرر أنّ القوانين الاجتماعيّة تتصف بالنّسبيّة التّاريخيّة، وأنّ القانون من نتاج العقل الجمعي" ، والتّاريخانيّة "تعتبر التّاريخ مبدأ وحيدا لتفسير كلّ الظّواهر المرتبطة بالإنسان بما فيها الدّين، فالتّاريخ يكفي نفسه بنفسه" .

ويرى محمّد النّعيميّ [معاصر] فيما يبدو له أنّ "الفرق بين التّاريخيّة والتّاريخانيّة في أنّ الأولى تربط الظّواهر والحقائق والمعتقدات والنّصوص الدّينيّة بزمن نشأتها التّاريخيّة، بينما ترى الثّانية أنّ هذه الأحداث تتطور مع التّاريخ نتيجة ارتباطها بالظّروف التّاريخيّة، والقول بتاريخيّة النّص يعني أنّ النّص حادث في زمن معين، ومتعلق ببيئة معينة، وأحداث معينة، فهو يعالج أوضاع تلك المرحلة الزّمنية من عمر التّاريخ وأحداثه، وهو ليس معنيا بالأحداث والأوضاع الّتي بعد تلك المرحلة الزّمنيّة" .

ويندرج هذا فيما يتعلق بنصوص الأحكام تحت سؤال هل النّص في ذاته مطلق أم نسبيّ، فإذا كان محمّد باقر الصّدر [ت 1980م] يرى إنّ "الغلو في الانتماء بتحويل النسبيّ إلى مطلق" و"حينما يتحوّل النّسبيّ إلى مطلق إلى إله ... يصبح سببا في تطويق حركة الإنسان" ، فإنّ الإشكاليّة تبقى ذاتها، فالقول بظرفيّة النّص ابتداء من حيث [الظّرفيّة التّاريخيّة النّسبيّة/ السّنة التّدبيريّة] يعطي مساحة أوسع للتّعامل مع النّص واستمراريته، فالنّص المفتوح دلالة فيما يتعلّق بحياة الإنسان ومعاشه وضعه في محيطه النّسبيّ والظّرفيّ يتماشى مع مرونته وبقائه، فلمّا نزل بروح الظّرف الواقع فيه، ومع تغير الظّرف تبقى روحه ليتماثل مع حكم مثيل له يناسب الظّرفيّة الأخرى.

ويقول صادق جواد [معاصر]: "عندما نقول إنّ المبادئ لها صحة وثبات مستدام فهل نقول إنّ للأحكام كذلك؟ فالأحكام لما كانت متسقة مع المبادئ في حينها لم تعد متسقة في حين آخر، فإذا كان لابدّ من تغيير أو تطوير فيكون في الأدنى أي الحكم وليس المبدأ، فالأحكام جوانب إجرائيّة تتحرك بما تفيء بمتطلبات المبدأ" .

فهناك فرق بين التّحويل وبين الابتداء، فجعل النّص في ذاته نسبيا، ولا يحمل الإطلاق إلا بقرينة أو قرائن واضحة؛ يجعلنا نتعامل مع النّصوص بشيء من المرونة الأوسع فضلا عن الالة، ولكن جعل النّص مغلقا ومطلقا من حيث الابتداء، هذا قد يجعل منّا البحث عن نص آخر أو نحتاج إلى شريعة أخرى لتلائم ظرفيّة وتاريخيّة كلّ زمن، فلمّا ارتفع وجود الشّرائع لزمنا البحث عن الرّوح الّتي يستطيع بها العقل تكييف الأحكام وفق الظّرفيّة المعاشة بما يحقق الغاية من المبادئ الّتي يعيش بها المجتمع الإنسانيّ.

ولهذا يرتبط بهذا جدليّة لاهوتيّة النّص وأنسنته، وبعيدا عن النّظر حول النّص من حيث قطعيّة النّسبة من الظّنيّة فهذا مبحث آخر يبقى السّؤال: هل لاهوتيّة النّص ترفع الأنسنة مشاركة لا أثرا؛ لأنّ الكلّ متفق أنّ الغاية الأثر وهو الإنسان، فهل النّص بمعنى أنّه "حاكم على الواقع مؤثّر فيه، متفاعل مع مستجدّاته، لا يتأخر عن الواقع أبدا، حيث أنّ الواقع متأخر على النّص، فالمتأخر البشري والكوني لا يجوز أن يحكم المتقدّم الإلهي، أي لا يمكن للواقع أن يكون حاكما على النّص، فالنّص القرآني موجها من الله تعالى إلى البشريّة، منذ بدء النّزول إلى اليوم وغدا، وإلى أن تقوم السّاعة" .

أو أنّ الغاية من الأحكام مرتبطة بالأنسنة، "وإنّما ينظر إليها لأنّه بها تكون صيانة الإنسان، فهي إنسانيّة عامّة، ولها صحة وثبات مستدام" أي من حيث الغاية المرتبطة بالمبادئ، لكون الأحكام متحركة، والمتحرك مرتبط بالأنسنة، والثّابت هو المبدأ، فالتّعامل مع الأحكام كونها متحركة لا يتعارض من اللّاهوت، ولا يبطل النّص، بقدر ما هو طاعة للمنزِل، وتحقيقا للمنزَل، من خلال تحقيق روح النّص لا حرفيّته.

وهذا الفريق يقابل رأي من يرى أنّ الأنسنة في التّأويل لا في النّص؛ لأنّ النَص يبقى كما هو، ونحن نتعامل مع كونا مفتوحا قابلا للتّأويل، وهنا يأتي دور الأنسنة، أي بمقدار ما يحقق كرامة الماهيّة الإنسانيّة، ويتوافق مع الظّرف المجتمعي.

أمّا الأنسنة عند شيلر [ت 1805م] على المذهب الّذي استخدمه في مؤلفاته، ويرتبط بحكمة بورتاغوراس [ت 411ق.م] بمعنى: "الإنسان هو المقياس لكلّ الأشياء" ، فهذا يتوافق مع الإنسانويّة لا الإنسانيّة؛ لأنّ الأول في الجملة ليس في ميزانه النّص اللّاهوتي، فجميعها نصوص تأريخيّة ظرفيّة من حيث النّسبة ومن حيث الظّرفيّة، أمّا الإنسانيّة فمعناها حضور البعد الإنساني في التّعامل مع ظرفيّة النّص.

ولهذا أرى حضور الأنسنة من حيث التّأويل، والتّعامل ظرفيّا مع النّص من حيث الابتداء، وبهذا نستطيع التّعامل مع النّص بمرونة أكبر فيما يخدم المجتمعات الإنسانيّة، ولعلّ هناك مناهج مطروحة في قراءة النّص لا يتّسع لها المقام كالحاكميّة والعلمويّة والتّجريبيّة وما بعد نظريات الفيزياء الحديثة.



د.مختار الاخضر الطيباوى - أكاديمى جزائرى

تسوُّق " الفيسبوكيين" الفكري و " الناذرة الإسلاميَّة " ... !

الحمد لله وحده، و الصَّلاة و السَّلام على من لا نبيَّ بعده.

يمكن تقسيم الكتبة على هذه المنصَّة الزرقاء إلى ثلاثة أصناف :

1 . صنف عنده علم شرعي أو نظر و ثراء فكري يطرحه بعمق و تأصيل، و قد يكون المنشور قصيراً لكنه مركز بالكليات.

و لا يغلب على هؤلاء السجال، بل استقلال الفكرة عن تلك " الناذرة الإسلامية" التي يضجُّ بها هذا الفضاء: " الكتابة بنفَس الكراهية و البغضاء والثأر و الانتقام "..؟

و حتى عندما يردُّون يوجد في ردهم رقي فكري و أناقة لغوية، و إن تسلل غمز أو لمز لغلبة الطبيعة الآدمية، وهؤلاء يتسوقون أفكارهم ~في الغالب ~ مما جمعته عقولهم و أفرزه فكرهم.

2 . صنف الغالب عليه الشباب، عندهم اعتدال نفسي واعتدال في المزاج، و طبيعة و غريزة سوية يكتبون عن انطباعاتهم و أحاسيسهم، غرضهم التواصل و الاجتماع، ليسوا مهمومين بالصحة العلمية ولا بجمال الفكرة.

لا يقصدون إثارة الإعجاب التي غرستها فينا النفسية الغربية لمؤسسي مواقع التواصل عندما أضافوا إلى المنشورات تلك الخانة الشيطانية التي كان سلف الأمة يفرُّون منها :" أعجبني"..؟

و أكثر هؤلاء لم تصبهم " الناذرة الإسلامية" لأنهم لم ينخرطوا في بعض الجماعات الإسلاميات فسلم طبعهم ومزاجهم من نفسيتها السبعية .

وهؤلاء حتى وهم يتحدَّثون عن " سياحتهم ،و عن الغزل، و أحوال البلاد و العباد" أحسن و أنفع من كثير من المنشورات تكتب بلغة النصح و " التمعقل" و "الفكرنة الزائفة".

3 . صنف لا يحسن التسوُّق الفكري، يبتاع كل مزوَّق بلون برَّاق، لا يعرف أن الفكر و المفكرين أنواع، يلقف ما يجده معروضا بأثمان زهيدة فيأخذ في قصِّه من هنا أو زيادة قطعة من هناك ليجعله على مقاس فلان أو علان.

يعتقد أن صحة الفكرة في جمالها، و ربما هي في الحقيقة كذبة يريد صاحبها أن يتفادى بها التناقض، أو تبرير عجزه، أو التكرار لفكرة واحدة لا يُعرف بغيرها، لا ينظرون في مضمون الأفكار مجرَّدة عن صور خضوعها إلى مقاصد أصحابها السياسية أو النفسية .

ينشرون أية فكرة معروضة يجدونها بدون حرص على التعرف العلمي على عمقها و دوافعها، ينشرونها فقط لأنها تقبل التطويع لصالح " الناذرة الإسلامية" .

انشر أفكارك الخاصة بك،التي تعبِّر عن فهمك و عن اطلاعك، وأقل من السجال الذي يعطيك رضا مؤقتا لكنه لا يبني معرفة إلا بشرط لا تملكه حتى تغيِّر جلد أفكارك مرارا، فطريق العلم الدقيق صعب، لعلك تفلح في الانتقال من الاعتدال اللساني المزيف إلى الاعتدال النفسي .

هذا الصنف الأخير هو الصورة المعبرة عن الخواء الفكري الذي نعاني منه، و عن الحفرة التي سجنتنا فيها "الناذرة الإسلامية " مرض النفوس المعلنة للتديُّن".

و إن في العزلة رياضة للنفس و تهذيبا لها من الأخلاق الردية و الأفكار التافهة، فخذ لنفسك فترة نقاهة من عيوب النفس بعزلة صوفية سنية تخلو فيها بنفسك ،وتتأمل فيها بواطنك، فربما قد تجد الأنس بالله فيطهرك من هذه الناذرة .



دكتور/عماد عبد الرازق–أكاديمي مصري

تراثنا العربي بين التهميش و التقديس

مقدمة:

يعد مفهوم التراث من المصطلحات التي أحدثت تباينا و اختلاف في فهمه و تفسيره و تأويله ودراسته بين الأوساط الفكرية و الفلسفية و الثقافية العالمية و العربية. ومن هنا فأن التراث في كل أمة يعد من الضروريات لتقدم الأمة،وعدم الاهتمام به يعد عقم في مستقبل الأمم،فهو له أهمية كبيرة و عظيمة لأي أمة من الأمم،يعطيها الشخصية الاعتبارية ،فهو بمثابة الأصل لأي ثقافة أو مجتمع بشري ،وقديما قالوا ما لا ماضي له لا حاضر له. إذن لأبد للإنسانية أن تهتم بتراثها و أن تحافظ عليه.لأنه هو عقلها ودمها الذي تحيا به بين الأمم،وجماع خصائصها الحضارية و النفسية،فالتراث منجزا فكريا تمثل في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة،كما أنه يمثل مادة بناء العقل و تكوينه ،فهو جوهر الهوية و مجمع العناصر الوراثية المنسربة في نفوسنا و تقاليدنا جميعا،أنه أغلى الكنوز. وبناء على ذلك تعتبر الأمة العربية الإسلامية أغنى الأمم على الإطلاق بتراثها المعرفي إبداعا و جمعا و نقلا و تحقيقا،إلا أن هذا التراث العربي العظيم تتفاوت أحوال الناظرين إليه،فالبعض يرى أنه شيئا مقدسا يحرم المساس به ،ولا يجب تغييره أو نقده أو حتى الاقتراب منه. و البعض الآخر يتحفظ عليه مطالبا بضرورة قطع الصلة به كلية ،والانطلاق من معايير جديدة تمكن من إثبات الذات في حيز الوجود. كما يروا أن التراث عقبة في سبيل

التقدم. وما بين هاتين النظرتين من تقديس التراث و الاستهانة به هناك وجهة نظر ثالثة سوف نوضحها من خلال مقالنا.

أولا منطلقات أساسية : من الواضح أن التراث العربي باعتباره ثقافة إسلامية لا يتعلق بحصيلة الإبداع في الفكر و الآداب فحسب، و إنما يشمل حقول الصنائع و الأعمال اليدوية و سائر المهن،وأيضا مظاهر الحياة الاجتماعية في أبعاده المختلفة .ومن الحقائق المؤكدة التي لا تقبل الشك أن التراث العربي قد شكل على الدوام ثروة لامادية مؤهلة للإسهام في نهضة العرب و المسلمين.

ثانيا: المواقف المتباينة من التراث : لقد تعددت المواقف و النظريات في موقفها من التراث و انقسمت في هذا الشأن إلى ثلاث مواقف أو تيارات أساسية: التيار الأول– جاء موقفه من التراث متأثرا بالنظرة الغربية و التي وضعته في ثنائية التراث و الحداثة ،وهي الثنائية التي تنتصر للحداثة على حساب التراث، وترى أن التراث يمثل عائق و عقبة كئود في سبيل التقدم و الحداثة ،لذا يجب التخلي عنه وتركه،ولا نكترث به ،لأنه يمثل الماضي في كل صوره و أشكاله،ولا يجب أن نسجن أنفسنا في الماضي ،ولا نكون بمثابة حانوتية لهذا التراث،نحنطه و نستحضره في حل قضايا العصر الراهن. فالماضي لأهله الذين عاشوا فيه . فالتراث الفكري في عصر معين مثلا العصر الأموي أو العباسي هو عصر خاص بهؤلاء الذين عاشوا فيه ،لا يمكن استحضاره و تقمصه في حل مشكلات و قضايا معاصرة. لأن ما يصلح للسلف ليس بالضرورة يصلح للخلف. فالتراث بالنسبة لهولاء أشبه بثوب قديم بال لا يصلح الظهور به على مسرح الأحداث المعاصرة. ويجب أن نشير في هذا السياق إلى أن هذا التيار يختزل أزماتنا و معضلاتنا في تراثنا و تاريخنا،ويصورهما كأنهما السبب الرئيس و الوحيد لهذه الأزمات. وهذا ما يسمى ازدراء التراث و الاستهانة به ،وهو يمثل داء وبيل يطمس الطرق المؤدية إلى العلم و الفهم. لذا يرى محمود شاكر أن ذم التراث و الاستهانة به كان أول صدع في تراث الأمة العربية و الإسلامية ،وأول دعوة لإسقاط تاريخ طويل ،وظلت الاستهانة باقية الأثر في الناس إلى اليوم،حتى وصلت في بعض المناطق إلى اغتياله ماديا و معنويا.ومن جانبنا نقول بلا شك هناك الكثير من الجوانب المتخلفة و المظلمة في تراثنا يجب التخلص منها والاستغناء عنها،ومع ذلك فهذا الموقف ينطوي على فهم قاصر و خاطئ ،فليس التراث هو السبب الوحيد لكل أزماتنا و مشاكلنا ،بل هناك أسباب عديدة و متنوعة و معقدة لأزماتنا ،وهي في كل الأحوال أعمق من هذا.

التيار الثاني: موقف التقديس للتراث و هو ما يسمى الموقف التقليدي من التراث ،والذي يدافع بكل قوة عن التراث و يراه النموذج الوحيد و النهائي لحياة المجتمع العربي الإسلامي ،لذا يجب العودة إليه بكل تفاصيله و أشكاله. وهم ما يطلق عليهم حانوتية التراث ،يريدون تحنيط ما هو قديم ،وبث و بعث الحياة فيه،وجعله مشخصا يسير على قدميه لحل مشاكلنا المعاصرة.ومن هنا يقدس أنصار هذا التيار التراث بشكل مطلق و يحرم المساس به أو انتقاده،وفي هذا المسعى يطمس أو يزيف الكثير من الحيثيات و الجوانب المظلمة من تراثنا العربي الإسلامي في محاولة لإعادة كتابهما تفاديا للكشف عن الحقائق و تغطية جوانب الاستغلال و الاضطهاد و القمع التي مارستها السلطات خلال حقب عديدة من التاريخ العربي. ويجب أن نلفت الانتباه أن هذا التقديس للتراث لا يتأتى بالضرورة من باب الفهم أو الدفاع عن التراث ،بل على العكس فأن الكثير من أصحاب هذا الرأي يعادون التراث و قلما يفهمون قيمته و أبعاده التاريخية. و تؤكد لنا التجارب التاريخية أن هولاء يدعون تقديس التراث من أجل حماية مصالحهم و ايديولجايتهم ،ويعملون على تغييب الجوانب الايجابية و الثورية التقدمية منه،وكثيرا ما حاربوا ومازالوا من يعمل على إضاءة هذه الجوانب.خذ مثلا القرامطة و إخوان الصفا على سبيل المثال لا الحصر.

التيار الثالث: يطلق عليه تيار الإصلاح ،ويرى في التراث جهد بشري أنتجه رجال مثلنا،لذا يمكن التعديل فيه و تغييره و والإضافة إليه،بل ونقده و تمحيصه،لذا أزالوا عنه القداسة و خلعوا عنه التقديس. وينطلق هذا التيار من رؤية معرفية منهجية قائمة على التفرقة بين التراث الذي هو جهد و إنتاج بشري وجهد مرتبط بظروف وأحوال معينة،وبين التراث كشيء مقدس لا نستطيع تغييره أو الإضافة إليه أو الانتقاص منه. و يحاولون الوقوف موقف وسط و معتدل بين الرؤيتين السابقتين، يحاولوا ألا يقدسوا التراث و في الوقت نفسه لا يهملوه و لا يتركوه بالكلية،بل الأخذ منه ما يتناسب مع ظروفنا و قضايانا المعاصرة، يحاولوا أخذ ما يصلح لنا في الوقت الراهن و ترك ما لا يصلح. هذا التيار ينظر للتراث نظرة معتدلة موضوعية ليس فيها مغالاة أو تبسيط .

خلاصة القول أن التراث يمثل ذاكرة أي امة و هو القوة الدافعة لاستنهاض قدراتها،لذا يجب الاهتمام به . و أن نقف منه موقفا معتدلا و موضوعيا لا نبالغ في تقديسه و التمسك به و سجن أنفسنا في الماضي، وعدم الخروج منه،ولا نحاول أن نطبق مشكلات التراث على قضيانا المعاصرة و نستلهم الحلول من الماضي. و في نفس الوقت لا نهمله و نتركه كليا و نستهين به، و نسخر منه. بل يجب أن نقف موقف معتدل متوسط نأخذ من التراث ما يفيدنا في حل القضايا المعاصرة،نأخذ منه ما يتفق مع عاداتنا و تقاليدنا و ما يتفق مع توجهاتنا.



د. محمد المرابط – أكايمى مغربى

إشكالية الحوار

نظرة في القرآن والواقع الاجتماعي-الثقافي

- **خريج التعليم العتيق**
- **أستاذ مادة الفلسفة**
- المؤسس الرئيس لـ **"مركز نبوغ للدراسات والأبحاث"**
- المؤسس الرئيس(سابقا) لـ "**جمعية طلاب ومحبي التعليم العتيق"**

الكتب والأبحاث والمقالات

- كتاب:"**سؤال الحوار وإمكانية التعايش** (مدخل لبناء نسق قرآني حضاري) "
- **كتاب:"سؤال العالم الإسلامي (بين تحديات الواقع والإمكانات المستقبلية)"**
- – بحث:" معالم الفعل الإسلامي مدخل تأصيلي "
- –بحث: "سؤال الشورى في الفعل السياسي (مدخل لبناء نسق تأصيلي عام)"

- -بحث: " فلسفة الحكم والعدل (مدخل لبناء نسق إسلامي)"
- – بحث: "معالم الإصلاح في الفكر السياسي الإسلامي "
- – " سؤال التجدد... المنهج والأعلام "
- ــ إشكالية التجديد عند بعض مفكري العرب

- – "سؤال الدين والدولة.. جدلية العلاقة والتفعيل"

- – "أسس الفعل السياسي الإسلامي"
- –" فلسفة الأخلاق(نظرة عامة)"
- – " الشباب والفعل الإسلامي"
- – الحكمة الرمضانية نظرة في الفعل الإعلامي"
- – "الشورى وسبل التفعيل"
- – "سؤال التعليم
- – "المرأة المسلمة والفل الحضاري"
- – التراث والتجديد بين الحداثة والتقليد
- – "الأحزاب المغربية بين اللاواقع والواقع"
- – "المرأة المغربية والفعل الثقاف

وشاركت في محاضرات وندوات وطنية ودولية داخل المغرب وخارجه.

مقدمة:

يعتبر القرآن الكريم هو الأرضية الأساس الموجه الريس لحياة المسلم، الأمر الذي يدفعه إلى التفكير في دعوى القرآن وقضاياه الجزئية والكلية التربوية والاجتماعية والسياسية والثقافية، والعمل على تفعيله مقتضياتها، والنظر في الفعل النبوي المترجم للقرآن، حيث كان قرآنا يمشي على الأرض، وأهم ما يجب النظر فيه والتأمل في طبيعته وفلسفته وأثاره في وقتنا الحالي "الحوار"، باعتباره الطريق الأمثل للتعايش والتعارف بين الناس كلهم باختلاف لغتهم وأعرافهم ولسانهم.

إن القران الكريم ليس كتابا يهتم بالعالم الغيبي أو الجانب الروحي فقط انه كتاب القواعد والقوانين الرئيسة التي لا تتغير في حياة الإنسان، والآمر بتفعيل فعل التفكر في القوانين الطبيعية للحياة التي تتغير وتتجدد في حياة المسلم على وجه الخصوص، والإنسان على وجه العموم.

القرآن الكريم يتضمن جميع ما يحتاجه الإنسان في كل مناحي حياته، فهو كتاب عملي، فكل ما جاء فيها قابل للتنزيل والتفعيل ، وقضاياه لا تتناقض مع حقائق حياة الإنسان وأعرافه، والإنسان منذ أن خلقه الله وهو يحاول التواصل بجميع الوسائل المتاحة، إلى أن وصل إلى أهم هذه الوسائل، وهو الحوار.

وسأركز في هذا المقال على لونين من ألوان الحوار، وهما:"الحوار الأسري" و"الحوار النخبوي" بعد تأصيل قرآني للحوار.

1- سؤال الحوار في القرآن

إن القران الكريم جاء ليخرج الناس من ظلمات النزاعات والعصبية، إلى نور العيش والتعايش الإنساني والسلم العالمي ، يقول الله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم)(1)، وهذا التعارف يتحقق ويثمر بتفعيل قوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم)(2)، والدفع بالتي هي أحسن في التعامل مع المخالف يكون أثناء محاورته في جميع المواضيع، بالصيغ التي تحترم كينونته، وتراعي أحواله وظروفه.

وطبقا لذلك، فقد جاء القرآن الكريم بمنظومة حوارية متكاملة، شملت مجموعة من عناصر الحوار، فالقران الكريم هو كتاب حوار بامتياز، فقد احتوى على مجموعة من صور الحوار وألوانه، وقد وردت مادة "حور"، في القران الكريم في أربعة مواضعَ:

أ- قال تعالى: "إنه ظن أن لن يحور"(3)،والحور هنا معناه الرجوع(4).

ب- وقال تعالى: "فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً"(5)

أي: يتراجعان بينهما في بعض المجريات المعتادة، كما قال السعدي(6)

- (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً)(7).

---

(1)[سورة الحجرات: 13]

(2)[سورة فصلت: 34]

(3) [سورة الانشقاق: 14]

(4)انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، 317/24، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000م.

(5) [سورة الكهف: 34]

(6)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، 1/ 476 ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط :مؤسسة الرسالة ،ط 1 ، 1420هـ -2000 م

(7) [سورة الكهف: 37]

قال ابن عاشور: "دل فعل المحاورة على أن صاحبه قد وعظه في الإيمان والعمل الصالح، فراجعه الكلام بالفخر عليه والتطاول شأن أهل الغطرسة والنقائص أن يعدلوا عن المجادلة بالتي هي أحسن إلى إظهار العظمة والكبرياء"(8).

وقال تعالى:

"قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما"(9) قال السعدي: أي: تخاطبكما فيما بينكما(10).

فمدار الحوار في القرآن، هو الرجوع في الكلام والتخاطب فيه.

وقد استعمل القرآن الكريم ألفاظا أخرى تقوم مقام "الحوار"، من قبيل (قال – يقول)، وهي بدون شك من أشهر صيغ الحوار، التي تدل على وقوع التحاور بين القائليْن، وهذه الصيغة الحوارية وردت في القرآن الكريم بكثرة، إذ إن " هناك في القرآن ما يناهز ثمانمائة صغية لفعل "قال" ، "قالوا" في مقابل ما يصل إلى النصف منها لفعل، "قل"التي أمر النبي أن يبلغ بها أمر ربه، أما عدد المشتقات للفعل "قال"الواردة في القران، فيناهز الفا وثمانمائة مرة"(11).

وقد تناول القرآن الكريم العديد من ألوان الحوار، وسأتناول لونيين من هذه الالوان، وقبل الحديث عن هذين اللونين، يجب معرفة أن الحوار هو:

---

(8) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، 320/15، ط: الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.

(9) [سورة المجادلة: 1]

(10)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي، ج 1، ص 843، تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ -2000 م

(11)الإسلام اليوم، القران مؤسسا لأسلوب الحوار، محمد الكتاني، ص 88، العدد 31؛ 1436هـ/2015م

آلية لتقريب الأسر، والجماعات، والشعوب، والثقافات، باعتبار أن الثقافة هي "مجموعة أفكار مكتسبة و معكوسة من الواقع المحاط بالفرد و المتفاعل معه(12)، وعلى هذا وجب على الأسرة أن تعي وعيا حقيقيا دور الحوار في بناء أفكرها وطرائق تأثيرها وتأثرها، وكيفية الحفاظ على كل ما له طابع ثقافي ايجابي وتطويره، وهذا سينتقل الفعل الثقافي بين الأسر عن طريق الحوار، كما يجب على النخب الدينية والثقافية والسياسية والإعلامية... أن تقوم بدورها في صياغة وبناء ثقافة حوارية وتعمل على زرعها في الأسرة والمجتمع، بالتفاعل المسؤول مع ما جاء في القرآن من حوارات في مختلف المجالات، ويحسنوا استثمارها، وذلك حتى يتم توظيفها في الحياة اليومية.

2- الأسرة والحوار القرآني

تُعرف الأسرة "هي عشيرة الرجل ورهطه الأدنون، وسميت بهذا الاسم لما فيها من معنى القوة، حيث يتقوى الرجل" (13)، هذا على المستوى اللغوي، أما على المستوى الاصطلاحي، فالأسرة هي: "الجماعة الإنسانية التنظيمية المكلفة بواجب استقرار المجتمع وتطوره"(14).

(12) التواصل مع الآخر، عاطف آدم محمد عجيب، ص: 12، ورقة بحثية منشورة بمركز دراسات وثقافة السلام.

(13) لسان العرب لابن منظور، مادة: "أسر".

(14) علم الاجتماع العائلي، مصطفى الخشاب، ص43، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1985م.

قد أعطي القرآن الكريم للأسرة مساحة كبرى لأهميتها، حيث ذكر الله حوار سيدنا إبراهيم مع أبيه.

قال تعالى :

(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إبراهيم لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا) (15).

أول المتوجه إليه بالإنذار والتبرؤ مما يعبد هو الأب باعتباره الأقرب إلى إبراهيم ، وهو توجه فطري يعكس ارتباط الابن بأبيه وحبه له رجاء هدايته إلى ما فيه خيره وصلاح دنياه قبل مغادرتها إلى أخراه، وهو أيضا توجه ينم على أن أول المعنيين بالهداية والانتفاع بها هم عشيرة الأنبياء وأسرهم الصغيرة، حيث تبدأ الدعوة والنصح منهم بحكم القرابة والخلطة، وهذا ما فعله إبراهيم مع أبيه علّه يتخلى عن المعبودات الباطلة ويتجه إلى المعبود الواحد الفرد الصمد الذي هو الله خالق إبراهيم وغيره من الخلق، فهو المستحق بالعبادة دون غيره من الخلق أو الأصنام المعبودة ظلما(16)

حوار سيدنا إبراهيم مع ابنه ، **قال تعالى**:

(15)مريم: 41 - 48

(16) صحيفة المحجة ،حوار النبي إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه من خلال القرآن الكريم ، عبد القادر محجوبي، العدد 17425 سبتمبر, 2014

(فبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (17) إذا تأملنا نرى أن الله أمر سيدنا إبراهيم لكنه ومع ذلك دخل في حوار مع ابنه (فانظر ماذا ترى) بهذا الأسلوب في التربية كانت النتيجة (افعل ما تومر) .

لو أن الآباء تعاملوا مع الأبناء بتعامل سيدنا إبراهيم، لتعامل الأبناء مع الآباء كتعامل سيدنا إسماعيل مع أبيه .

إذ التربية هي عملية التنشئة والرعاية والتوجيه من جانب الكبير تجاه الصغير, والعالم حيال المتعلم[18].

وبهذا يعتبر الحوار الأسري أساس قيام الحياة الاجتماعية ، فهو"عملية تصف السلوك الذي يتعلق بتبادل المعلومات أو الخبرات بين الطرفين أو أكثر في نطاق المحيط الاجتماعي ، في حين قد تكون القيم دعائم لا غنى عنها في تماسك الأسرة وتقدم المجتمع بحيث يؤدي انحطاطها إلى انهيار وحدة الأهداف الاجتماعية حيث يراها حامد ربيع أنها تلك المبادئ الخلقية التي ترتبط بالواقع الاجتماعي والتي ترتفع عن مستوى المناقشة وتصير ذات دلالة في ذاتها بحيث تعبر عن الكمال السلوكي والحركي(19).

---

(17) الصفات : 101 -102

(18) من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي ،كمال الدين عبد الغني المرسي، ص: 4، ط: دار المعرفة الجامعية، ط1، 1419هـ/ 1998م)

(19) مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية – الجزائر، الحوار الاسري وعلاقته بالقيم الاجتماعية ، حورية بدرة ، العدد 9 ، ج 2 ، ديسمبر 2012.

3- النخب وسؤال الحوار

يجب على المجتمعات الإسلامية بشكل عام، والنخبة بشكل خاص، أن تتأمل فيما أشرنا إليه من حوارات سيدنا إبراهيم ، وإعادة النظر في أصول المشاكل الأسرية والاجتماعية والثقافية والحضارية ، وهذا هو دور النخبة المثقفة باعتبارها المحرك الأساس لأي مجتمع ، سواء تعلق الأمر بالقضايا الدينية، أو الاجتماعية، أو بالتصورات الفكرية والسياسية والثقافية، فهي الفاعل الرئيس في الحفاظ على التماسك الاجتماعي بخلق وتفعيل سبل التواصل والحوار ،وقد اهتم الدارسون بالنخبة ودورها في الرقي الثقافي والحضاري.

حيث "يعرف اليوم الحقل السوسيولوجي المعني بدراسة النخب بوجود مقاربتين كبريتين مها المقاربة الوظيفية Fonctionnelle والمقاربة البنيويةStructurelle ، وهما يسمحان ببناء نموذجي تأويل:

أحدها: يركز على وظائف النخب وحول المضمون الدقيق لنشاطاهتا، وكذا الحاجات التي تسعى لتلبيتها، والقدرات والخصائص الفردية التي تتمتع بها وتتميز من خلالها.

والثاني: يركز خلافا لذلك على افتراض الحضور الكامل للهيمنة في كل نظام اجتماعي، أين يكون الوجود لطبقة مهيمنة متكونة من مختلف الأجزاء المتنافسة بالضرورة. لكنها مخبأة دائما داخل أبنية تراتبية. وهذين النموذجين يتتبعان مسارا واحدا وهو التعمق في بحث وجود جماعة من الأشخاص"نخبة،طبقة مهيمنة، أجزاء من الطبقة المهيمنة "على هرم السلطة الاجتماعية وعلى القيم الإيديولوجية، الثقافية، السياسية والدينية...الخ"(20)

---

(20)تشكل النخبة الدينية في الجزائر دراسة ميدانية بمنطقة –تلمسان-، رسالة الدكتورة في علم الاجتماع ،فضيل حضري ، ص 14، السنة الجامعية 2012-2013

فمن خلال هاتين المقاربتين نرى أن النخبة بمعناها الشامل هي من تسهم في الرقي والتحضر والسلم العالمي، أو التخلف والانحطاط والتبعية والعنف والإرهاب، فهي من تحكم وتصنع القرار، إلا أن الإشكال حاصل بين النخب نفسها ، حيث الحوار ضعيف أو شبه غائب بينها لأسباب مختلفة منها :

– عدم مراعاة الاختلاف :

فالاختلاف حول المرجعية الفكرية والرؤية المستقبلية ، لا يجب ان يكون سبب في الصراع ، الذي أبدله القران بـ"التعارف" و"التدافع ".

فمنهم من يرى أن الغرب هو مصدر الإلهام والتطور والحداثة

ومنهم من يرى التطور والرقي والتحضر يكمن في الإسلام (القران والسنة) نفسه ، يعني لا حاجة إلى الغير

في حين يتوسط هذين الرأيين رأي ثالث يحاول أن يطور المجال التداولي الإسلامي، مع الاستفادة من الغير بما يتناسب والمأصول، وذلك بتفعيل الأصول القرآنية في الحياة الاجتماعية، "التعارف " و"التدافع"، "العالمين ".

– النظرة إلى الدين الإسلامي :

هناك أراء مختلفة ، منها ما يُبني على الدراسات الاستشراقية ولا يحاول التأمل فيها ليقوم اعوجاجها ، بل يأخذ الفكرة على عجلة من أمره ليعرضها.

– الاتهامات المتبادلة :

هناك اتهامات متبادلة بين مكونات المنظومة الثقافية الإسلامية المعاصرة (الرجعيون ، المتخلفون ،...– التعريبيون، المقلدون، المبتدعة ... وغيرها) كل ينظر من زاوية ولا يحاول أن يتقلب بين زوايا النظر ليرى أكثر، هذا حاصل بين مكونات الحركة الإسلامية بالمعنى العام في العالم العربي الإسلامي.

والناظر والمتأمل في الواقع الوجودي للدول العربية الإسلامية سيجد أنها تمتلك أهم الموارد الطبيعية التي تحتاجها الإنسانية، من بترول، غاز، حديد، فسفاط، فلاحة، إلا أن الواقع التعاوني _العملي لا يسر المسلم، لأن فلسفة التعاون بنيت على تصورات مادية بخلفية استعمارية، والقران لم يعد له ذلك الآثار الكبير في بلورة وتوجيه العقل المسلم في جميع صوره الفردية والجماعية _ الدول، إلا قليلا، فهناك أقلية من العقلاء تحاول تفعيل منظومة السلم العالمي القرآنية ، إما بالإرادة الفردية المحضة، أو مدعومة من بعض الدول، التي تسعى إلى تفعيل ما جاء في الإسلام (القران والسنة) من عالمية رحمته، وسمو أخلاقه، ولو بطريقة غير مباشرة ، فبادروا إلى تأسيس منظمات ومراكز وجمعيات....

فالحوار القرآني قائم على البرهان، **قال تعالى:**

(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(21) "إن الأدلة والبراهين تعد بمثابة ضوابط نظامية للفكرة أو الرأي تحوله من كلام عادي إلى معلومة حقيقية تعتمد على دليل عملي وبرهان منطقي، فإذا غابت تلك البراهين كان من حق المحاور أن يطالب الطرف (الآخر) بما يدعم أفكاره ويؤيد آراءه، لكي تتم المحاورة على أرض صلبة من الحقائق والوقائع" (22).

هذا إذا كانت نية المتحاورين (الدول العربية الإسلامية) جدية وصادقة، هدفها الوصول إلى الحقيقة، فالبرهان سبيلها، والقرآن مرشدها، لكن هناك "بعض المتحاورين يعمد إلى عدم ذكر جميع

---

(21) النمل: 64

(22)الحوار .. الذات و الآخر ، عبد الستار إبراهيم الهيتي، كتاب الامة ، ص 93 ، عدد 99، 1425 هـ /2004 م

عناصر الموضوع وحيثياته حتى لا ترى الفكرة بوضوح، ولا تدرك عناصرها الداخلية بدقة .

إن هذا الأسلوب له علاقة كبيرة بالنزاهة العلمية والمبدئية الفكرية، فمن لا يملك تلك النزاهة وليس لديه مبدئية فكرية، لا يمكن إقامة حوار علمي معه؛ لأنه يفتقد أخلاقيات المهنة التي تتطلب الدقة والأمانة العلمية .

إن الكلام في العموميات والتعريج على الأطر العامة يضفي على الحوار نوعا من الغموض، ويزيد الضبابية فيه ، فتضيع الفكرة الصادقة وتختفي"(23) في حين نجد الإسلام يدعو أتباعه إلى الحوار حتى غيرهم(أتباع الأديان والثقافات الأخرى)، فمن باب أولى أن يكون الحوار بين المسلمين نخبا وأنظمة ودولا.

---

(23) المرجع نفسه .



أحمد محمود آل رجب - باحث ومحقق

كاتب وباحث شرعى

محقق حديثى له ٥١ مؤلفاً

أزهرى ومن طلبة الشيخ مصطفى العدوى

((شهر رجب))

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد العالم صلوات الله وسلامه عليه وآله وأصحابه.

وبعدُ:

سيكون هذا المقال في عصرين:

الأول: فضل شهر رجب وما جاء في ذلك من أحاديث ضعيفة.

الثاني: حُكْم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج في شهر رجب.

أولاً: عن فضل شهر جب أقول وبالله التوفيق:

قال تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} [التوبة: 36].

ووَقَف النبي صلى الله عليه وسلم خطيبًا، فقال في خُطبته الجامعة: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ» متفق عليه.

قلتُ: فثلاثةٌ سَرْد، وواحدٌ فَرْد.

ذو القعدة، وذو الحجة، وشهر الله المحَرَّم- سَرْد متصلة.

ورجب مُضَر بين جُمادَى الآخِرة وشعبان- فَرْد منفصل عنها.

هذه هي الفضيلة الأولى لشهر رجب، أنه من الأشهر الحُرُم التي حُرِّمَ فيها القتال.

ورجب من الترجيب وهو التعظيم، وكان أهل الجاهلية يُعَظِّمونه جدًّا.

رَجِبْتُه (بالكسر) أي: هِبْتُه وعَظَّمْتُه، فهو مرجوب. ومنه سُمِّيَ (رَجَبٌ) لأنهم كانوا يُعظِّمونه في الجاهلية ولا يَستحِلُّون فيه القتال.

وإنما قيل: (رَجَبُ مُضَرَ) لأنهم كانوا أشد تعظيمًا له.

والجمع أرجاب. وإذا ضَموا إليه شعبان قالوا: رَجَبَانِ. والترجيب: التعظيم.

انظر ((المنتخَب من صحاح الجوهري)).

وكانت هناك قبيلة يقال لها: (مُضَر) كانت تُبالِغ في تعظيم شهر رجب؛ فلذا نُسِب الشهر إليها. كذا قال جماعة من أهل العلم.

قال أبو عُبَيْد القاسم بن سَلَّام: فإنما سَمَّاه (رَجَب مُضَر) لأن مُضَر كانت تُعَظِّمه وتُحَرِّمه، وَلم يكن يستحله أحد من العرب إلا حَيَّان: خَثْعَم وطيئ؛ فإنهما كانا يَستحلان الشهور.

قلت: والظاهر أنه صلى الله عليه وسلم قال عن شهر رجب: «الذي بين جُمَادَى وشعبان» لسببين:

الأول: لمزيد من البيان والتأكيد.

الثاني: لأن قبيلة ربيعة كانت تُحَرِّم شهر رمضان وتسميه رجبًا. وكانت قبيلة مُضَر تُحَرِّم رجبًا نفسه. فهذا بيان لصحة قول هذه القبيلة في رجب، أنه الشهر الذي بين جُمَادَى وشعبان، لا كما تَظن قبيلة ربيعة مِن أن رجب المحَرَّم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال، وهو رمضان اليوم، فبَيَّن – صلى الله عليه وسلم – أنه رجب مُضَر لا رجب ربيعة.

ودونك أيها القارئ بعض الأحاديث الضعيفة في فضل شهر رجب

[1] حديث: سُئِل عن سبب الإكثار من الصيام في شعبان، فقال: «ذاك شهر بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرْفَع فيه الأعمال إلى الله، وأُحِب أن يُرْفَع عملي وأنا صائم».

قلت: هذا ضعيف.

[2] حديث: «رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي».

قلت: هذا حديث ضعيف جدًّا.

حديث: «اللهم بَارِك لنا في رجب وشعبان، وبَلِّغنا رمضان» أو بلفظ: «مَن بَلَّغ الناس بحلول شهر رجب، حُرِّمَتْ عليه النار».

قلت: وهذا أيضًا ضعيف جدًّا.

وهل وَرَد أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم في رجب، أو كان يَخص شهر رجب بعبادة معينة دون باقي الشهور؟

قلت: لم يَرِد شيء من هذا بسند صحيح (فيما عَلِمْتُ).

وهل يَجوز أن نصوم في رجب؟

قلت: نعم، يَجوز ويَجوز ويجوز، بل استَحب جماعة من العلماء ذلك.

والدليل على الجواز عموم قوله صلى الله عليه وسلم: «مَن صام يومًا في سبيل الله، بَاعَد الله بينه وبين النار سبعين خريفًا».

وكان صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر.

ووَرَد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يداوم على صيام الاثنين والخميس. ولكن في كل طرقه مقال، وقد قَوَّاه قوم.

فلا مانع في رجب وفي غيره من الصوم والصلاة والعمرة والتصدق... وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

ولا مانع من ذبح ذبيحة في رجب وفي غيره، ما دامت تُذْبَح على اسم الله ولوجه الله.

ومَن أراد ذبح ذبيحة لنفسه وأهل بيته فقط، جاز أيضًا في رجب وغيره. وإطعام الفقراء والمساكين منها أَوْلَى بلا ريب.

ثانيًا: حُكْم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج في شهر رجب؟

قلت: اختَلف علماء عصرنا في هذه المسألة على قولين:

الأول: الاحتفال برحلة الإسراء والمعراج لا يجوز، وهو مِن البدع المحْدَثات.

الثاني: الاحتفال برحلة الإسراء والمعراج جائز بالطاعات والمباحات.

قلت: وتتمثل وجهة أصحاب القول الأول فيما يلي:

(1) لا يصح شيء في تحديد تاريخ الإسراء والمعراج، فكيف نحتفل به إذن؟!

(2) لم يَفعل ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه رضوان الله عليهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

(3) لا فائدة لهذا الاحتفال من الأصل، ولا نفع يُرْجَى من ورائه، وعلى المسلم أن يَحرص على ما ينفعه.

قلت: وتتمثل وجهة أصحاب القول الثاني فيما يلي:

(1) عدم ثبوت شيء في تحديد التاريخ ليس دليلًا للحُكْم ببدعية الاحتفال، خاصة أن جماعة من العلماء يرون أن الإسراء والمعراج كان في السابع والعشرين من شهر رجب.

(2) تَرْك الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم لشيء- لا يدل على تحريمه أو بدعيته!!

فقد تَرَكوا إلقاء السلام على المنبر وهو ليس بدعة. وتَرَكوا إنشاء المحراب في المسجد، وليس بدعة. وتَرَكوا أشياء كثيرة وفِعلها ليس بدعة؛ لأن لها أصلًا في الدين.

(3) الاحتفال بهذه الذكرى العطرة فيه تذكير لعموم الناس بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومعجزة من معجزاته، وقد قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللهِ﴾ [إبراهيم: 5].

(4) ما حَصَل فيه خلافٌ مُعتبَر فإنه يَسوغ للشخص أن يأخذ بأحد القولين، وقد حَصَل هذا النوع من الخلاف في هذه المسألة.

قلت: الذي يترجح لديَّ في هذه المسألة هو جواز الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، شريطة عدم ارتكاب مُخالَفة شرعية.



عصام جمعة-باحث شرعى

وقفات وعبر من إسراء خير البشر

تأتي ذكري الإسراء والمعراج وهي من أعز الذكريات في تاريخ الإسلام والمسلمين ، فما أجملها من ذكري ، وما أجلها من حادثة ، تأتي ذكري الإسراء لتجدد فينا الأمل والثقة في نصر الله ، وأن الفرج قريب فلا تفقدوا الأمل ، فقد تحررت القدس بعد تسعون عاما من الإحتلال الصليبي ، لذا أري من الواجب علينا أن نقف مع أحداث ذكري الإسراء والمعراج بعض الوقفات لنأخذ منها بعض الدروس والعظات والعبر .

الوقفة الأولي : بعد كل محنة منحة

فقد سبقت رحلة الإسراء والمعراج ابتلاءات جسدية ونفسية واقتصادية واجتماعية وحصار وتضيق ، خاصة بعد أن مات عمه ابوطالب وزوجته خديجة ، وتوالت المصائب علي رسول الله صل الله عليه وسلم ، وتطاول الأذي حتي نالت قريش من رسول الله مالم تطمع به في حياة عمه أبي طالب ، ثم بعد ذلك انتقال النبي بالدعوة الي مكان جديد الي الطائف فكان الصد والعنف من سادتها واهلها ثقيف

[24]حتي دميت قدميه الشريفة في سبيل الدعوة ، وكان يوم الطائف من اشد الأيام التي مرت برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اللجوء والتضرع إلي الله سبحانه ، فالدعاء اعظم ما يملكه المسلم فلا يستطيع أحد أن يحول بينك وبين الدعاء ، فتضرع النبي الي الله عزوجل وكان كل ما يشغله {يارب ان لم يكن بك عليَ غضب فلا ابالي} هذا ما كان يشغل بال النبي صل الله عليه وسلم ، فكانت الإجابة سريعة من ربه جل وعلا ، فكانت رحلة التشريف والتكريم رحلة الإسراء والمعراج وكأنه يقول لحبيبة ومصطفاه{إن كان أهل الأرض قد حاربوك واذوك فإن رب الأرض والسموات يدعوك} فى رحلة أرضية سماوية { ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو ادني فأوحي إلي عبده ما أوحي } [1]حتي وصل إلي سدرة المنتهي ، إنها معجزة لم تحدث لنبي من قبله ولا لأحد من بعده.

الوقفة الثانية : قدرة الله سبحانه وتعالي

تأتي ذكري الإسراء والمعراج لتقول للمشككين والمعاندين هذه هي قدرة الله عزوجل التي ليس لها حد ولا لمنتهاها رد ، تقول للذين يمكرون بالإسلام بالليل والنهار، ها هي قدرة الله سبحانه، أروني في تاريخ الدنيا فى طولها وعرضها منذ كان لها تاريخ معجزة كهذه جزء قليل من الليل يتسع لأحداث ضخمة وكبيرة ، كيف لهذا الزمن القليل أن يستوعب هذا الدور الكبير والأحداث العظيمة.

لذلك من اللطائف أن تبدأ سورة الإسراء بقوله تعالي { سبحان الذي أسرى .... } [2] وهو تأكيد علي قدرة الله سبحانه وتنزيهه عن كل نقص أو عجز أو ظن سوء مثل ترك المؤمنين يهانون أو دوام تسلط الظالمين ، يقول ابن القيم رحمه الله { فمن ظن أن الله لا ينصر رسوله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد

---

[24] (1) سورة النجم :[8-10].

(2) سورة الإسراء: [1]

(3) زاد المعاد ، ابن القيم ، ج3، ص 205

(4) الجواب الكافي ، ابن القيم ، ج1، ص 7

حزبه ويُعليهم ويُظفرهم بأعدائه ويُظهرهم عليهم ، وأنه لا ينصر دينه وكتابه فقد ظن بالله ظن السوء} (3) لذلك فإن التسبيح هو وغيره من صور الذكر هو حصن المسلم مع كل محنة أو ضيق ، يقول ابن مسعود[25] { ما كرب نبي من الأنبياء إلا استغاث بالتسبيح } (4).

الوقفة الثالثة : شرف العبودية

ذكر الله نبيه صلي الله عليه وسلم بوصف العبودية في الموطن وفي أشرف المواطن : في موطن الإسراء فقال جل وعلا { سبحان الذي أسري بعبده } (5) وفي موطن الدعوة { وأنه لما قام عبد الله يدعوه } (6) وفي موطن الجهاد { وما أنزلنا علي عبدنا يوم الفرقان} (7) وفي موطن الوحي {الحمد لله الذي انزل علي عبده الكتاب "} (8) فأين نحن من شرف العبودية التي هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من[26] الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، من صلاة وصيام وتلاوة وذكر، وانفاق وصلة رحم، ودعوة وتفكر، وتوكل ورجاء ، وخشية وإنابة.

منتهي الشرف أن تكون عبدا لله ، ومنتهي الذل أن تكون عبداً لغيره ، من الشهوات والشبهات ، أن تكون عبدا للدينار والدرهم ، والمنصب والجاه والسلطان ، فقد روي أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه قال { تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، واذا شيك فلا انتقش ...}(9)

الوقفة الرابعة : شرف الليل

وكان الإسراء ليلاً للإشارة إلي أن الليل هو معراج المؤمنين إلي ربهم {إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا} (10) فالليل هو جنة المؤمنين ومستراح العابدين ، أفضل أوقات تدبر القرآن بالليل ، وأفضل

---

(5) سورة الإسراء: [1]

(6) سورة الجن :[19]

(7) سورة الأنفال : [41]

(8) سورة الكهف : [1]
(9) رواه البخاري

(10) سورة المزمل : [6]

الصلاة بعد المكتوبة صلاة الليل ، وأفضل أوقات الأستغفار بالأسحارليلا، يقول شاعر الإسلام محمد اقبال[27] { كن مع من شئت في العلم والحكمة حتى يكون لك أنَه في السحر } أي تضرع وبكاء في آخر الليل .

الوقفة الخامسة : الربط في الرحلة بين المسجدين

من أهم دلالات رحلة الإسراء ذلك الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصي للتأكيد علي أهمية المسجد الأقصي قال تعالي { سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصي الذي باركنا حوله..... } (11) وأن المسجدين أمانه في أعناق المسلمين ، فالأقصي كمكة لا يجوز التفريط فيه ، ووجوب العمل علي نصرته والتحذير مما يحاك به من مؤمرات ، وأن التهديد للمسجد الأقصي هو تهديد للمسجد الحرام ، والنيل من الأقصي هو توطئة للنيل من المسجد الحرام.

فكلنا أمل أن نجعل من ذكري الإسراء تذكيرا للمسلمين ، فمن شاء اتخذ إلي ربه سبيلا ، والي الجهاد دليلا ، وإلي المجد طريقا ، وإلي العمل الصالح معراجا.

وكلنا أمل : أن تدفعنا هذه الذكريات ،لأستعادة ما ضاع من عزة ومجد وكرامة ، وما تمزق من شمل ، وما تهدم من بنيان وما احتل من ديار ومقدسات.

فهل تتحقق الآمال وتسعدنا الأيام ، فنري رجالا أمثال عمربن الخطاب وأبي عبيدة عامربن الجراح ونور الدين محمود وصلاح الدين ليعيدوا مجد الإسلام من جديد وما ذلك علي الله بعزيز. ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء

---

27 (11) سورة الإسراء: [1]



الشيخ أحمد تركى

الرحمة في الإسلام

الرحمة خلق عظيم، ووصف كريم، أُوتيه السعداء، وحُرمه الأشقياء، الرحمة ضاربة في جذور المخلوقات، ومختلطة بكيان الموجودات الحية، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة في الأرض، فبها يتراحم الخلق، حتى إن الفرس لترفع حافرها، والناقة لترفع خفها مخافة أن تصيب ولدها، وأمسك تسعة وتسعين رحمة عنده ليوم القيامة" .

رواه البخاري وغيره .

فالرب -جل وعلا- متصف بالرحمة كما يليق بجلاله.

والرحمة صفة كمال في المخلوق يتعاطف بها الخلق، ويشفق القوي على الضعيف، فيحنو عليه بما ينفعه، ويمنع عنه شره، ويتوادُّ بها بنو آدم، فالرحمة في الفطرة التي خلقها الله، ولكن قد تطمس الفطرة بالمعاصي، فتكون الرحمة قسوة جبّارة ضارة.

ومع أن الرحمة فطرة مستقيمة، وصفة عظيمة فطر الله عليها، فقد أكّدها الإسلام، وأوجب على المسلمين التحلي بالرحمة والاتصاف بها؛ لأن الإسلام دين الرحمة، فتعاليمه لتحقيق الخير والعدل والرخاء والحق والسلام، والعبودية لله رب العالمين، ولدحض الباطل، واجتثاث جذور الشر، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء:107].

والرحمة صفة من صفات ربنا فلله الصفات العلى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: 9].

الرحمة صفة كمال وجلال ربنا جلَّ وعلا، قال جل وعلا: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: 156]

فلا يعلم مداها إلا هو: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام: 133].

ومن أبرز أسماء الله الحسنى، اسما: "الرحمن الرحيم"، وهما أشهر الأسماء بعد لفظ الجلالة: "الله"، والمؤمن بالقرآن كلما تلا كتاب الله أو بدأ سورة منه افتتحها بـ: "بسم الله الرحمن الرحيم"، في مائة وثلاث عشرة سورة منه، وحسبنا أن يردد هذين الاسمين في صلاته المكتوبة ما لا يقل عن أربع وثلاثين مرة في اليوم؛ فهو كلما أدى ركعة قرأ فاتحة الكتاب: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: 1 – 3] وهي سبع عشرة ركعة في الصلوات الخمس المفروضة على المسلم يوميًّا، فإذا أدى السنن زاد ضعف ذلك، فإذا رغب في النافلة، زاد ما شاء الله أن يزيد.

ولهذين الاسمين الكريمين "الرحمن الرحيم" إيحاءٌ قوي في نفس المؤمن، فضلاً عما توجبه عليه عبوديتُه لله أن يكون له حظ من أسمائه تعالى.

والمؤمن يعتقد أنه دائمًا فقيرٌ إلى رحمة الله تعالى؛ فبهذه الرحمة الإلهية يعيش في الدنيا، ويفوز في الآخرة، ولكنه يوقن أن رحمةَ الله لا تُنال إلا برحمة الناس: (إنما يرحم اللهُ من عباده الرُّحماء).

وكذلك:

(مَن لا يرحم لا يرحم).

وقوله –صلى الله عليه وسلم–: (ارحموا من في الأرض يرحَمْكم من في السماء).

ورحمة المؤمن لا تقتصر على إخوانه المؤمنين – وإن كان دافع الإيمان المشترك يجعلهم أَوْلى الناس بها – وإنما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعًا، وقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه: (لن تؤمنوا حتى ترحموا)، قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم، قال: ((إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة).

ولهذا اتَّسَعَت رحمةُ نبيِّ الإسلام صلى الله عليه وسلم لِتشمَل مع بَنِي الإنسانِ الطَّيرَ والحيوانَ؛ حيث أَمَرَ بالرِّفق بها، وتوعَّد مَنْ عذَّبها – أو أساء إليها حتى تموت – بالعذاب والنار في الآخرة.

فقد نَهَى صلى الله عليه وسلم أن تُجعل الطُّيور وغيرُها مِن ذوات الرُّوح هدفًا للرَّمي بالسِّهام وغيرِها مِن الأسلحة؛ فقال صلى الله عليه وسلم: ((لا تَتَّخِذوا شيئًا فيه الرُّوحُ غَرَضًا)رواه مسلم .

أي: لا تتَّخذوا الحيوانَ الحيَّ غرضًا تَرْمون إليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: (دَخَلَتِ امرأةٌ النارَ في هِرَّةٍ ربطتْها، فلم تُطعِمها، ولم تَدَعْها تأكُل مِن خشاش الأرض)

رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: (بينما كلبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كاد يَقتُله العطش - إذ رأتْه بَغِيٌّ مِن بغايا بني إسرائيل؛ فنزعَت مُوقَها فَسَقَتْه؛ فغُفِر لها به).

رواه البخاري.

وقال صلى الله عليه وسلم: (بينا رجُلٌ يمشي، فاشتدَّ عليه العطش، فنزل بئرًا فشرب منها ثم خرج، فإذا هو بكلبٍ يَلْهَث، يأكُل الثَّرَى مِن العطش! فقال: لقد بلَغ هذا مثل الذي بلَغ بي! فملأ خُفَّهُ، ثم أمسَكَه بِفِيهِ، ثم رَقِيَ فسَقَى الكلبَ؛ فشَكَرَ اللهُ له؛ فغَفَرَ له)! قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم أجرًا؟ قال: (في كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجْر).

رواه البخاري.

ونَهَى صلى الله عليه وسلم أن تُصْبَرَ البهائم؛ قال العلماء: (صَبرُ البهائم: أن تُحْبَسَ وهي حيَّة، لِتُقتل بالرَّمْي ونحوه).

ومرَّ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم ببعيرٍ قد لحق ظهرُه ببطنِه؛ فقال: (اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة؛ فاركبوها صالحةً، وكلوها صالحةً).

رواه أبو داود.

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

(إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ).

رواه البخاري.

• عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالُوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالُوا: لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقَبِّلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: (وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ)). وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ).

رواه مسلم.

• عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءاً، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءاً وَاحِداً، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ).

رواه البخاري.

وانظر إلى السلف الصالح :

• أويس القرني:

– كان من رحمة أويس القرني بالفقراء أنه كان يَتَصَدَّقُ بما في بيته ثم يدعو: اللهُمَّ مَنْ مات جُوعًا فلا تؤاخذني به.. ومن مات عريانًا فلا تؤاخذني به..

• محمد بن الحنفية:

- صاحب المعروف لا يقع ولو وقع لا ينكسر.

• الحسن البصري:

- إن الله ليخول العبد في نعمته وينظر ماذا يصنع فيها مع عباده, فإن وفّاهم ما طلبوا وإلا حولها عنه.

• أبو ذر:

- أمرني حبيبي رسول الله أن أرحم المساكين وأجالسهم .

ومن الرَّحْمَة المذمومة :

فهو ما حصل بسببه تعطيل لشرع الله، أو تهاون في تطبيق حدوده وأوامره، كمن يشفق على من ارتكب جرمًا يستحق به حدًّا، فيحاول إقالته والعفو عنه، ويحسب أنَّ ذلك من رحمة الخلق وهو ليس من الرَّحْمَة في شيء، بل الرَّحْمَة هي إقامة الحد على المذنب، والرَّأفة هي زجره عن غيِّه وردُّه عن بغيه بتطبيق حكم الله فيه .

قال ابن تيمية:

((إنَّ العقوبات الشَّرعيَّة كلَّها أدوية نافعة، يصلح اللَّه بها مرض القلوب، وهي من رحمة الله بعباده ورأفته بهم، الدَّاخلة في قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الأنبياء:107].

فمن ترك هذه الرَّحمة النَّافعة لرأفة يجدها بالمريض، فهو الَّذي أعان على عذابه وهلاكه، وإن كان لا يريد إلَّا الخير إذ هو في ذلك جاهل أحمق) .

لذا نهى الله تعالى المؤمنين عن أن تأخذهم رأفة أو رحمة في تطبيق حدود الله وإقامة شرعه فقال:

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ [النور: 2].

قال ابن تيمية:

(إنَّ دين الله هو طاعته، وطاعة رسوله، المبني على محبَّته ومحبَّة رسوله، وأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما؛ فإنَّ الرَّأفة والرَّحمة يحبُّهما الله ما لم تكن مضيّعةً لدين الله).

ومن الرَّحْمَة المذمومة ما يكون سببًا في فساد المرحوم وهلاكه، كما يفعل كثير من الآباء من ترك تربية الأبناء وتأديبهم، وعقوبتهم رحمة بهم، وعطفًا عليهم، فيتسببون في فسادهم وهلاكهم وهم لا يشعرون.

قال ابن تيمية: (ما يفعله بعض النِّساء والرِّجال الجهَّال بمرضاهم، وبمن يربُّونه من أولادهم، وغلمانهم، وغيرهم، في ترك تأديبهم وعقوبتهم، على ما يأتونه من الشَّرِّ ويتركونه من الخير رأفةً بهم، فيكون ذلك سبب فسادهم وعداوتهم وهلاكهم).

وقال ابن القيم: (إنَّ الرَّحْمَة، صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقَّت عليها، فهذه هي الرَّحْمَة الحقيقية، فأرحم النَّاس بك من شقَّ عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار

عنك، فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنَّه يرحمه، ويرفهه، ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم) .

يقول عبد الرحمن السعدي: (والرَّحْمَة التي يتصف بها العبد نوعان:

النوع الأول: رحمة غريزيَّة، قد جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرَّأفة والرَّحْمَة والحنان على الخلق، ففعلوا بمقتضى هذه الرَّحْمَة، جميع ما يقدرون عليه من نفعهم، بحسب استطاعتهم، فهم محمودون، مثابون على ما قاموا به، معذورون على ما عجزوا عنه، وربما كتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم.

والنوع الثاني: رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة، تجعل قلبه على هذا الوصف، فيعلم العبد أنَّ هذا الوصف من أجلِّ مكارم الأخلاق وأكملها، فيجاهد نفسه على الاتصاف به، ويعلم ما رتب الله عليه من الثواب، وما في فواته من حرمان الثواب؛ فيرغب في فضل ربه، ويسعى بالسبب الذي ينال به ذلك، ويعلم أنَّ الجزاء من جنس العمل، ويعلم أنَّ الأخوَّة الدينية والمحبة الإيمانية، قد عقدها الله وربطها بين المؤمنين، وأمرهم أن يكونوا إخوانًا متحابين، وأن ينبذوا كل ما ينافي ذلك من البغضاء، والعداوات، والتدابر).

نماذج من رحمة الصحابة رضوان الله عليهم

سار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على نهجه، واقتدوا به في التمسك بهذا الخلق الكريم، حتى صار الرجل المعروف بشدته، وصرامته، هيِّنًا ليِّنًا، رحيمًا رؤوفًا.

رحمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي عرف بشدَّته، وقوَّته، تغير الرَّحْمَة من طباعه، فيصبح رقيقًا يمتلأ قلبه رحمةً، ويفيض فؤاده شفقةً، ومما يدل على ذلك قوله لعبد الرحمن بن عوف حينما أتاه يكلمه في أن يلين لهم لأنَّه أخاف النَّاس حتى خاف الأبكار في خدورهن، فقال: (إني لا أجد لهم إلَّا ذلك، والله لو أنهم يعلمون ما لهم عندي، من الرَّأفة، والرَّحْمَة، والشفقة، لأخذوا ثوبي عن عاتقي).

ورآه عيينة بن حصن يومًا يقبل أحد أبنائه، وقد وضعه في حجره وهو يحنو عليه، فقال عيينة: أتُقبِّل وأنت أمير المؤمنين؟ لو كنت أمير المؤمنين ما قبلت لي ولدًا. فقال عمر: الله، الله حتى استحلفه ثلاثًا، فقال عمر: فما أصنع إن كان الله نزع الرَّحْمَة من قلبك؟ إنَّ الله إنَّما يرحم من عباده الرُّحماء .

- واشتهى الحوت يومًا، فقال: لقد خطر على قلبي شهوة الطري من حيتان، فخرج يرفأ، في طلب الحوت لعمر رضي الله عنه، ورحل راحلته، فسار ليلتين مدبرًا، وليلتين مقبلًا، واشترى مكتلًا، وجاء بالحوت، ثم غسل يرفأ الدابة، فنظر إليها عمر فرأى عرقًا تحت أذنها، فقال: عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر، لا والله لا يذوقه عمر، عليك بمكتلك .

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة، التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((إنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار)).

- وهذا أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه من رحمته أنه كان له جفنة من ثريد، غدوة، وجفنة عشية، للأرامل واليتامى والمساكين.

وختاماً :

فالرّحمة هي واحدةٌ من الأخلاق المحمودة وصفةٌ من صفات الله العظيمة ومن صفات أنبيائه ورسله والصّالحين من عباده المخلصين .

الرحمة في الإسلام خلقٌ عظيم لا نظير له، فقد كتب الله على نفسه الرحمة ما هو مؤكد في سورة الأنعام في قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} .

لتكون صفة الرحمة من الكلمات والصّفات الأكثر تكرارًا في القرآن الكريم، فالقرآن الكريم هو أوّل ما يلفت الأنظار في حياة المسلمين، فهو دستورٌ لهم وأهمّ مصادر الشريعة والتشريع، وقد أخبر رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– عند قراءته بالتزام البسملة والتي تحمل فيها قول "الرحمن الرحيم" وهما اسمان مشتقّان من الرحمة ويكونان في صيغة المبالغة.

فالله تبارك وتعالى هو الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء، ورحمة الله –سبحانه وتعالى– تتجلّى على الخلائق عامّةً وعلى الإنسان خاصّةً، ويتجلى ذلك ابتداءً في وجود الخلق أنفسهم، وفي نشأتهم من حيث لا يعلمون، وفي تكريم الإنسان على كثير من العالمين وتفضيله بنعمة العقل والتفكير، ويتجلّى ذلك في تسخير ما في هذا الكون العظيم من النعم والطاقات والقوى والأرزاق والماء والهواء.

فعن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "أترونَ هذه طارحةً ولدَها في النارِ قالوا لا يا رسولَ اللهِ قال لَلَّهُ أرحمُ بعبادِهِ من هذه بولدِها".

فرحمة الله –سبحانه وتعالى– وسعت كلّ شيء، وهو ما أكّده في سورة الأعراف في قوله تعالى:

{وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} .



الأستاذ عدوم لخضر

***حاجة الشباب إلى الأدب الإسلامي ***

إنّ[28] الأدب هو القلم السيّال الذي يُترجم ما يختلج في النفوس ويحيك في الصدور من خفقات العواطف وسيل المشاعر والأحاسيس وعواصف الأحزان والأشجان، لذلك تجد الناشئة تقبل عليه إقبال الظمآن على الغدير ،فلا سبيل أمامها لإفراغ تلك الحالات التي تنتابها إلا سبيل الأدب، وما إن أُغلق هذا الأخير وحيل بينه وبين روّاده كان مآل الشخصية الإنسانية إلى الاضطراب والترنح ذات اليمين وذات الشمال وعدم الاستقرار أبدا على حال !، لأنه من المعلوم بداهة أن الذات تقوم على شقيّ الروح والمادة وكل له ما يشبعه ويسدّ حاجته ، والشخصية المسلمة لا تخرج عن هذه السنن وهذا النسق المطرد، فإن وجدت من المنتوج الأدبي الإسلامي المواكب لمستجدات العصر والواقع ما يملأ فراغها الروحي والوجداني

---

[28] ١- من الفكر والقلب للبوطي-رحمه الله-

٢- المرجع نفسه

هرعت إليه ولزمت عتبته وإن لم تجد بحثت عن البديل في غيره ،وهنا يكمن الإشكال وتستقرّ المعضلة وتتجدر، ذلك أنّ الكتابات غير الإسلامية لا تخل من زغل ودخل، وقد جُعل الأدب – كما هو معروف –مطيّة يركبها كل من أراد تمرير فكر منحرف وخلق ذميم ، وازداد وهج هذا الإشكال إشتعالا في الآونة الأخيرة حين أُرخي العنان للروايات الأدبية المتطرفة التي تدسّ السمّ الزعاف في قوالب أدبية جذابة تتمتع برشاقة الأسلوب وبديع العبارة التي تستهوي القارئ فيميل إليها ميل الغصن المثقل ،ويأخذها بغثها وسمينها ثم تستقر في عقله مشحونة بأفكارها ومنطقها ، يقول الشيخ البوطي مؤكدا هذا القول (لعلك تعجب إن سمعت من يقول لك : إن أكثر الأفكار والعقائد الزائفة و الهدامة ، إنما تسللت إلى رؤوس دعاتها المسلمين (أي الذين كانوا مسلمين) عن طريق الأدب ....لا الأدب في جانبه الشكلي فقط بل في جانبيه الشكلي والموضوعي معا "[1]

ونجد الشيخ رحمه الله في هذا السياق يضرب لنا مثالا بأحد الأدباء المعروفين على الساحة الأدبية برواياته التي أخذت مكانها وزيادة في عقول الناشئة الإسلامية يقول :"ولقد مرّ زمن طويل على الناس وهم يقبلون على الروايات التي يكتبها جرجي زيدان* على أنها قصص أدبية عاطفية مقتبسة من بطون التاريخ يدفعهم إلى التعلق بها وما فيها من خطّ عاطفي مستمر ، دون أن يدركوا إلا أخيرا أن جرجي زيدان إنما عبث عن طريق ذلك بالتاريخ الإسلامي عبثا منكرا لا مزيد عليه، والتفت الباحثون وإذا عبثه هذا قد استقر في كثير من الرؤوس" [2]

وعليه فإن أمام الأدباء الإسلامين مهمة عظيمة تستوجب عليهم الوقوف وقفة حازمة تُجرّد فيها الأقلام وتنشر فيها القراطيس ، والمسارعة إلى تدوين روايات أدبية ذات طابع إسلامي تستقطب القارى بدقة أسلوبها وجميل كلماتها وقوة معانيها، مراعية في ذلك الحاجة العاطفية للذات المسلمة فتنتشلها من وحل الأدب الغربي الساقط وتسمو بها إلى عالم الفضيلة والنقاء، ويحصل ذلك بتضمين هذه الكتابات قصصا تحثّ على مكارم الأخلاق وجميل الفضائل وفق تسلسل مرتب محكم يأسر الفكر والقلب ويجعلهما في تتبع مستمر لسير القصة، وأجزم أنه سيكون لهذا السعي صدى في الواقع يوقظ وعي أبنائنا وإخواننا ويدفع بهم دفعا إلى هذه الكتابات النقية الصافية ،فقد تقرر بالمشاهدة التي تقطع دابر الشك أن غالب 9مطالعة الشباب الآن والشبات تكمن في مطالعة الروايات والقصص خاصة العاطفية منها،،

فيا أهل الأدب والبيان من أهل الإسلام هذا ثغر يزداد كل يوم اتساعا فالبدار البدار إلى سدّه، ذلك وإنما الموفق من وفقه الله والحمد لله رب العالمين

---

* المنفلوطي في ج 3 من كتابه النظرات والعبرات أفرد مقالا يسيل ثناء وإطراء على كتابات جرجي زيدان ، بينما نجد الكثير من الكتّاب قد حذروا من مؤلفاته كالشيخ البوطي مثلا ، والله أعلم بحال الرجل ومنتوجه العلمي



أسامة الهتيمي
كاتب ومحلل سياسى

أسئلة ما بعد الدكتور محمد عمارة "2-2"

يشبه الفرق عندي بين الدكتور محمد عمارة – رحمه الله – وغيره الكثير من المفكرين كالفرق بين ذلك المفتي الذي يرى في أعين الناس أو وجوههم صدق الرغبة في اتباع ما يأمر به الشرع أو ينهى عنه وبين آخرين من غير الصادقين الذين يبحثون عما يبررون به سلوكهم ومفت آخر يردد الحكم الشرعي دون الوعي بحال المستفتي أو كالفرق بين ذلك العالم الذي قدر له أن يسافر ويطلع على الكثير من ثقافات وعادات وتقاليد الشعوب ما أكسبه خبرة وعلما "فمن رأى ليس كمن سمع" وبين ذلك الذي لم تتأتى له هذه الفرصة فلم يزد علمه عما تضمنته الكتب ووسائل الإعلام وكذلك كالفرق بين المفسر الذي منحه الله علم الموهبة والقدرة على الحوار مع الآيات والألفاظ والمعاني ولمس القضايا والإشكاليات وذلك الذي لا يتجاوز تفسيره شرح الألفاظ وسرد الآراء وعليه فإن الدكتور عمارة لم يكن فقط خزانة علم أو رأس حوى الكثير من الكتب والمجلدات فهذا ربما يشاركه فيه الكثيرون بل ويتفوق فيه البعض عليه وإنما كان – رحمه الله – بارعا في توظيف قراءاته توظيفيا فكريا غاية الروعة من خلال الوقوف على ملاحظات والخروج منها بلفتات ربما مرت على غيره فلم ينتبه لها بل وربما لم ينشغل بها من الأساس.

وأهمية انعكاس ذلك على مشروع الدكتور عمارة الفكري هو استحضاره للثغرات التي يجب أن يقوم بملئها والاهتمام بها فلم ينصب اهتمام عمارة على القيام بعملية إنشاء "البناية" دون الانشغال بأدق التفاصيل التي تساعد على تجهيز البنية التحتية وتأهيل هذه "البناية" للسكن والإقامة على أفضل حال مراعيا كل الأحوال والظروف والأجواء المحيطة بها.

لقد أدرك الدكتور عمارة ومنذ البداية رهانات العلمانيين التي منحتهم الكثير من الفرص للاستئساد وارتداء أثواب المنتصرين ومن ثم فقد جعلها نصب عينيه لا تغيب عنها أبدا والتي كان منها مثلا تركيز اهتمام الإسلاميين في قراءتهم وتحصيلهم على العلوم الشرعية دون كثير انتباه لأهمية الإلمام بتاريخ الشعوب وفلسفاتهم واسهامات غير المشايخ والفقهاء بما صور هؤلاء وكأنهم في حالة انغلاق تام عن المتابعة والانفتاح على العالم ومتابعة التطورات العلمية والفكرية التي تجري من حولهم وعدم النظر في آراء مخالفيهم أو اجتهادات المجتهدين غير التقليديين فيما أنهم – أي العلمانيون – على عكس هؤلاء تماما وبالتالي فهو اسقاط ضمني على الإسلام حيث يستغل العلمانيون ما يعتبرونه جهلا فيقدمون التجارب البشرية السياسية والفكرية والفلسفية في أبهى صورها وكأنها غاية ما يأمله البشر ويطمحون إليه دون إشارات قوية أو دالة على العثرات التي مرت بها هذه التجارب حتى نضجت.. فضلا عن الضحايا التي تكبدتها الإنسانية جراء الصراعات السياسية والفكرية والفلسفية بين الرؤى البشرية المتباينة ولا حتى الإشارة إلى العنصرية التي لا زالت ورغم البهرجة تتسم بها الأطروحات الرائجة والحاكمة لما يسمى بالمجتمع الدولي في الوقت الحالي.

كذلك فقد انتبه — رحمه الله — لخطورة خطة هؤلاء بشأن محاولاتهم تشويه التاريخ الإسلامي من خلال التركيز على نقاط الضعف التي تخللت بعض مراحله أو تلك السلوكيات الخاطئة التي ارتكبها بعضهم وإصرارهم على الترويج إلى أن الإسلاميين يتعاطون مع الحكام وكأنهم ملائكة وليسوا بشرا فضلا عن تجاهل حيثيات كل سلوك والحكم عليه وتقييمه وفق معايير غير زمانه فاتبع منهجا أكثر موضوعية مميزا بين التجربة البشرية وبين حزمة القواعد والمبادئ التي يفترض الاحتكام إليها ومن ثم تقييم هذه التجارب في إطار سياقها التاريخي والسياسي والظرفي.

ولم يغفل الدكتور عمارة وهو يسير في طرح مشروعه الفكري الرد على تلك الشبهات التي ما فتأ يرددها العلمانيون بين الحين والآخر دون ملل أو كلل متجاهلين جهود تفنيدها وكأنهم صم بكم عمي لا يسمعون ولا يبصرون فكان هو أيضا يتبع منهج التكرار في الرد والدحض دون ملل أو كلل وبأساليب مختلفة غير مكتف في الوقت ذاته بالبقاء في موقع الدفاع بل كثيرا ما اتخذ موقع الهجوم فيما لم ينجرف

على الإطلاق لمحاولات هؤلاء المستميتة لحصره في خندق المتشددين والمتطرفين الذين ربما آثروا في خياراتهم الفقهية انتقاء الآراء والمواقف الأكثر تشددا في الإسلام بل على العكس فقد كان هو نفسه منتقدا وبشدة لمنهج هؤلاء رافضا مقولاتهم بأن ما يطرحونه يمثل الصورة الصحيحة للإسلام غير عابئ بما يمكن أن يناله – وقد كان – من قبل هؤلاء من نقد وهجوم وصل إلى أقصى حدوده فقد كانت قناعته دائما أن المخلصين من بينهم سيعودون للحق يوما ما.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أن البعض ربما يرى أن العلم بما سبق لم يكن سمة مميزة للدكتور عمارة وأمثاله فحسب وهو رأي إلى حد كبير صحيح غير أن ما قصدناه ليس مجرد العلم ولكن إدراك ذلك واستحضاره دائما فالفارق شاسع جدا بين مجرد العلم والاستحضار الذهني خلال طرح المشروع الأمر الذي دفع الدكتور عمارة إلى التعمق في دراسة العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية والتاريخ الحديث والإلمام بالجوانب الحضارية والوعي بالاسهامات والمشاريع الفكرية خاصة لدى رجالات ما اصطلح على تسميته بعصر النهضة سواء من حسب منهم على الإسلاميين أو حتى أولئك الذين قوبلت اطروحاتهم في وقتها بالرفض والإنكار والنقد فكان بذلك مرهقا لهؤلاء الذين ترسخ لديهم قناعة بأن "المشايخ" لا تتجاوز قدراتهم حفظ المتون ومطالعة كتب العلوم الشرعية.

ولقد تجسدت أبرز النتائج على ذلك في أخطر جوانب مشروع الدكتور عمارة الفكري والذي أثار جدلا كبيرا ليس فقط فيما بين الإسلاميين والعلمانيين بل أيضا في أوساط الإسلاميين أنفسهم وهو الجانب المتعلق بتوسيع دائرة الإسلاميين داخل صفوف من كان يصنفهم العلمانيون كمرجعيات فكرية لاطروحاتهم وروادا لما أطلق عليه عملية "التنوير" التي يستخدمها العلمانيون كذريعة للانقضاض على الإسلاميين إذ سلك عمارة منهجا مختلفا في التعاطي مع هؤلاء "التنويريين" فلم ينظر إليهم باعتبارهم مخالفين كما فعل البعض ممن أساء الفهم أو نظر إلى الأفكار والمواقف بعين واحدة أو تماهى مع أحد طرفي نزاع فكري ربما نتج عن تنافس سياسي في مرحلة بعينها أو حتى اعتمد في التقييم وإصدار الأحكام على ما روجه العلمانيون بشأن هؤلاء وهو المنهج الذي بقدر ما آلم العلمانيين أثار أيضا حفيظة قطاع كبير من الإسلاميين.

وتكمن خطورة هذا الجانب من مشروع الدكتور عمارة في أنه أفسد على العلمانيين المصريين والعرب سلاحهم الذي ما فتأوا يستخدمونه في مواجهة الإسلاميين ومن ثم فقد تمكن من أن يرد على العلمانيين من مقولات "التنويريين" أنفسهم ويكشف أن هؤلاء تعاطوا مع اطروحات "التنويريين" بالكثير من الابتسار والاجتزاء كما هو الحادث مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين أو

تجاهل التطور الفكري الذي انتاب الكثيرين منهم كما هو الحادث مثلا مع زكي نجيب محمود وطه حسين أو حتى ميشيل عفلق – مؤسس حزب البعث السوري - الأمر الذي حرم العلمانيين من الاستئثار بهؤلاء الرواد.

وعلى الرغم من أن الدكتور عمارة أتعبه النقد المكثف الذي وجهه له الإسلاميون قبل العلمانيين بشأن هذا الجانب حتى أن بعض الإسلاميين كان يصف منهج الدكتور عمارة بأنه "تلفيقي" إلا أن هذا لم يثنيه على الإطلاق عن مواصلة نهجه والعمل قدر استطاعته على لفت الانتباه إلى إعادة قراءة الاطروحات والمشاريع الفكرية السابقة وتقييمها من منظور شمولي وليس من منظور جزئي يبرز نقاط الخلاف ما ساهم بشكل كبير في وجود جيل جديد من الإسلاميين قادر على أن يعيد النظر بالفعل إلى هذه الإسهامات انطلاقا من أنها رؤى اجتهادية فرضتها المستجدات وحالة من تناطح الأفكار وتلاقحها.

لقد حاول الدكتور عمارة بهذا الجانب المهم من مشروعه الفكري التأكيد على فكرة الاتصال والتسلسل والتنوع كون أن هذه الإسهامات لا تخرج عن دائرة بعينها الأمر الذي أوجد حالة من الارتياح النفسي أو إن شئنا الدقة حالة من المصالحة الفكرية لدى هؤلاء المنبهرين بما قدمه "التنويريون" وبين ثوابت الهوية الدينية والوطنية.

كذلك لا يمكن أن ينكر أحد دأب الدكتور عمارة على المتابعة الخبرية ورصد الحوادث والمستجدات فلم يكن الرجل من نوع مفكري الأبراج العاجية أو أولئك الغارقين في مناقشة القضايا بعيدا عن تفاعلات الواقع والمجتمع بهمومه وإشكالياته بل كان يستشعر كل من يقرأ كتابات الدكتور عمارة ومقالاته الحيرة حول اهتمامات الرجل هل هي فكرية أم سياسية؟ وهو ما كان يميزه أيضا عن بعض المشايخ والعلماء الذين لم يكونوا في حالة تفاعل تليق بمواقعهم العلمية والدعوية حتى أن أحدهم – رحمه الله – عندما سألته منذ نحو عقد ونصف عن رؤيته وتقييمه لـ"العولمة"؟.. سألني وبشكل عفوي.. وما هي العولمة يا أخ أسامة؟ لأكتشف بالفعل بعد دقائق قليلة أن الرجل لم يكن يعلم مضمون المصطلح وأن سؤاله لم يكن اختبارا لي.

ولا يمكننا أن نتجاهل أيضا لفت النظر إلى أن من أهم ما ميز المشروع الفكري للدكتور عمارة أيضا بعض صفاته الشخصية فغالبا ما يمتزج المشروع الفكري بالأهداف الشخصية لصاحبه فلا يكون نزيها أو موضوعيا بشكل كامل وهي الآفة التي خلا منها مشروع الدكتور عمارة الذي ضحى بالكثير من المصالح الشخصية لأجل إتمام وإنفاذ ما يستطيع منه على خير وجه حتى أنه ترك عمله كأستاذ بالجامعة وقاوم

داخل نفسه التطلع الغريزي لأي منصب ليتفرغ لهذا المشروع إذ يقول: "آثرت التفرغ للبحث والكتابة، وتركت الوظيفة الحكومية وزهدت في التطلع للمناصب منذ تخرجت في كلية دار العلوم، وفضلت أن أظل حرًا مشتغلًا بالعلم، وأن أكون كالجالس على "الحصيرة"؛ لأن الجالس على الحصيرة لا يصيبه الأذى إذا ما وقع من عليها".

ولا ننسى أن نشير إلى أن الدكتور عمارة أيضا لم يخضع للابتزاز أو للإرهاب الفكري خاصة وأن رحلة عطاءه الفكري مرت بتجارب سياسية شهدت في بعض مراحلها حالة صراعية بين أجهزة الدولة وبعض الجماعات الإسلامية التي نهجت العنف واستخدمت السلاح وهي المراحل التي استغلها – ولا يزال – المناوئون لمشروع عمارة على الرغم من أن رفض عمارة للعنف لم ينحصر في إعلانه لذلك بل وتأصيله للموقف الشرعي لهذا الرفض ما أكسب هذا المشروع الكثير من المصداقية والثبات والصلاحية ذلك أنه لم يكن مفكر النظام السياسي كما لم يكن مفكر الجماعات.

ويبقى أن ما سبق ليس بحثا عميقا حول ملامح وسمات ومميزات مشروع الدكتور عمارة فما قدمته ليس إلا أطلالة وخاطرة سريعة وردت على ذهني عندما ترجل الفارس فيما أننا يمكننا أن نقول وبكل أريحية إن مشروع الدكتور عمارة يحتاج بالفعل إلى مؤسسة بحثية كبيرة للعمل على استكمال ما بدأه رحمه الله.